الأستاذة: عبديش الزّهرة

المستوى: الثانية ماستر

التّخصص: دراسات نقدية

المقياس: لسانيات عامة

**أ- الدرس اللّساني عند الهنود:**

**مقدّمة:**

اللّسانيات العامة من أهم المقاييس في برنامج الجامعة الجزائرية، لدى أقسام اللّغة العربية وآدابها، حيث تمنح للطالب مفاتيح كثيرة يعتمد عليها في تحليله للنّصوص، ومن خلالها يستطيع الطّالب أن يطّلع على اللّسانيات الحديثة كما يتمكّن من الربط بينها وبين اللّسانيات العربية، ضف إلى ذلك أنّ هذا المقياس يفتح المجال للتعرّف عمّا كُتب في حقل الدرس اللّغوي الحديث.

**1- تاريخ الفكر اللّساني عند الهنود:**

الدرس اللّغوي ليس جديد العهد، بل تعود نشأته إلى ما قبل الميلاد وأوّل ما بدأ مع الهنود في القرن الرابع قبل الميلاد، وعلى رأس علماء اللّغة الهنود النّحوي **"بانيني"** إذ انطلقت دراساتهم اللّغويةانطلاقة دينية من كتابهم **"الفيدا"** حتى تتمّ قراءته قراءة سليمة[[1]](#footnote-2).

قطع بانيني وعدا على نفسه بأنّه سيثبت اللّغة السنسكريتية القديمة وهي اللّغة التي اشتهرت طويلا بأنّها وسيلة للتعبير عن المرجعية الهندية وهي في قمة عطائها[[2]](#footnote-3).

**2- اللّغة السنسكريتية:**

اهتم الهنود بلغتهم قبل عصرنا الحالي بقرون عدة، وكان ذلك مرتبطا ارتباطا مباشرا بالمناخ الاجتماعي والثّقافي، الأمر الذي ساعد على ظهور هذه اللّغة وكانت على مستوى عال من الدقة والتّنظيم، هذا ما أدى بهم إلى بلوغ نتائج لا تقلّ أهمية عن نتائج اللّسانيات الحديثة خاصة في مجال الصوتيات وكانوا أسبق من اليونان في المسائل اللّغوية سواء من ناحية القيمة أو الزمن[[3]](#footnote-4).

إنّ الدراسات اللّغوية الهندية تدور في مجال ديني، ويرون أنّ اللّغة الهندية من صنع الإله (إندار)، ثمّ تطوّرت هذه اللّغة إلى لغة أخرى هي (براكريت)، لأنّ فهم الكتاب المقدس لم يكن سهلا، أمّا كتابتهم فجاءت متأخرة قليلا وتُعرف بالبراهمية[[4]](#footnote-5).

**3- جهود الهنود في الدراسات اللّغوية:**

انطلقت جهودهم في ذلك بناء على الملاحظة والاستقراء للنصوص القديمة، تميّزت دراستهم بالمنهج الوصفي، حيث ينظر إلى اللّغة في زمن معين دون النظر إلى التّحوّلات التي تطرأ عليها، وهذا ما جعل دراستهم بنيوية شبيهة اللّسانيات الحديثة، يقول روبينز: يصعب الاعتقاد في بعض الجوانب المهمّة بأنّ علم اللّغة الأوربي كان سيصبح في الوضع الذي هو عليه الآن دون الأفكار الداخلة عليه من الأعمال اللّغوية الوافدة من خارج أوربا، خاصة الدرس الهندي[[5]](#footnote-6).

اهتم الهنود باللّغة من حيث هي وسيلة للتفكير والتّعبير حيث تميّزت لغتهم بالصرامة المنهجية، وقد تولّد هذا الاهتمام عن شعور ديني أساسه الحفاظ على النّصوص الدينية الشفهية التي تُمثّل الفيدا[[6]](#footnote-7).

الدراسات اللّغوية عند الهنود لم تعرف بالتّقليدية، بل لها قيمة علمية عظيمة لأنّها انتظمت ضمن فروع علمية مستقلة كاللّسانيات العامة، والنحو والدلالة والفنولوجيا والمورفولوجيا، إذ كان تفوقهم بارزا في الصوتيات وعلم الصرف.

**ب- الدرس اللّساني عند اليونان:**

لم تكن دراسة الإغريق للغة دراسة شبيهة بالتي عرفها الهنود، فرغم سعة التراث الإغريقي بدأ الفكر يتبلور عنده في القرن السادس قبل الميلاد خاصة في الفلسفة، يقول أحمد مومن:(بدأ الفكر الإغريقي في القرن السادس قبل الميلاد يتبلور في جميع الميادين، وكان لهم دور بارز في بناء الحضارة الإنسانية الحديثة، وهذا نظير درجة الوعي وحرية الفكر، وإنّ الحضارة الغربية اليوم كانت قد بدأت على أيدي المفكّرين الإغريق الذين كانوا روّادا في الفكر الفلسفي واللّغوي والاجتماعي والأدبي والسّياسي والأخلاقي)[[7]](#footnote-8).

لقد كان لليونان رصيد معرفي ضخم في مجال الدرس اللّغوي، لقد أسهموا في كشف حقيقة النّظام اللّغوي عند الإنسان، نتج عنه تراكم من التّصوّرات التي تصلح إلى وقتنا الحالي، حيث أصبحت موردا للبحث اللّساني المعاصر، أمّا الدراسات اللّغوية عندهم فكان أساسها فلسفيا ومنطقيا بامتياز، كما أنّهم لم يتركوا أيّ وصف للغتهم يشبه وصف الهنود، ولم يتركوا معلومات عن لهجات الأقوام التي احتكوا بها[[8]](#footnote-9).

طبع الدرس اليوناني الطابع الفلسفي لكثرة الجدل حوله المعارف عموما، وخير دليل على هذا الجدل هو قضية نشأة اللّغة بين الطبعين والاصطلاحيين، هذه المناقشات أثارت نقاشات أخرى منها:

- هل اللّغة شيء فوق الطبيعة تلقّاها الإنسان من ربّه؟

- هل هناك علاقة فطرية بين الدال والمدلول؟

- هل اللّغة تتوقّف على العرف والاتفاق بين المتكلّمين؟

تعدّدت جهود الإغريق اللّغوية حيث تمثّلت في الدراسات النّحوية والصرفية والصوتية والمعجمية بتعدّد المدارس المعروفة لديهم، ومن بين هذه المدارس: المدرسة الرواقية ومدرسة الإسكندرية.

أُخذ على جهود اليونان ما يلي:

- خضوعها للنظريات المنطقية

- كان الغرض من جهودهم التعليم لتمييز الخطأ من الصواب، وهذا ما أخرجه من دائرة علم اللّغة.

- خلوّ دراساتهم من المنهج المقارن، إذ لا توجد مقارنة بين اليونانية وغيرها.

- إهمال الدراسة المقارنة سببه تفضيل لغتهم على سائر لغات البشر.

- آراؤهم النّحوية كانت معيارية أكثر منها وصفية

**خلاصة:**

- اهتموا بوصف لغة أجدادهم، ووضعوا قواعد عامة للغتهم.

- تميّزت قواعد الإغريق بالفلسفة والعقلانية التي أثّرت على الدراسات اللّغوية الأوربية.

- دراستهم للغة ارتكزت على بنية اللّغة ونشأتها، ولم يكن لها اهتمام بتطوّر اللّغة وتنوّعها.

- طُبّق النّحو الإغريقي على كلّ اللّغات في العالم، واستعملت مصطلحاته في الدرس اللّساني الحديث.

**الاختلاف بين الهنود والإغريق:**

- تتفوّق دراسات الهنود عن الإغريق في ميدانية رئيسيين هما:

1- ميدان الصوتيات: صنّفوا الحروف ووصفوها وصفا دقيقا بالاعتماد على الملاحظة والتجربة، فنشأت عندهم الصوتيات النّطقية مقابل الصوتيات السمعية عند الإغريق.

2- ميدان النحو: اهتموا بالدراسة الهيكلية للكلمات ووضعوا لها قواعد نحوية.

- اهتم اليونانيون بلغتهم، ومن بين القضايا التي أثارت انتباههم قضية (نشأة اللّغة)، وكانت لهم جهود في درس لغتهم على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية.

**ج- الدرس اللّساني عند العرب:**

لم يكن التّفكير العربي أقلّ شأنا ممّا سبقه، حيث نشأ البحث اللّغوي العربي في ظلّ القرآن الكريم وعلم التّفسير والبلاغة والنحو وعلم الكلام والفقع وأصوله وأسباب النزول والنّاسخ والمنسوخ وغيرهم من العلوم الأخرى.

وفي هذا السياق يقول السعيد شنوقة:(إنّ للدراسة اللّغوية عند العرب مكانة علمية في الفكر اللّساني المعاصر كونها إضافة علمية محقّقة للتواصل المعرفي، حتى وإن تمحورت أسسها حول القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهي في هذا كغيرها من الأمم كالهنود واليونان والمصريين القدامى، وعليه فإنّ التّفكير اللّغوي العربي يحمل في عمقه الفضول العلمي والتطلّع إلى إغناء الدراية المعرفية والعلم في بعده الإنساني)[[9]](#footnote-10)؛ من خلال هذا القول نلتمس تأكيدا على السبق التاريخي والحضاري للعرب في مجال الدراسات اللّغوية، ممّل جعلها محطّ اهتمام عند اللّسانيين الغربيين وتدارسهم للتراث اللّغوي الإنساني والتراث اللّغوي العربي القديم.

**1- المصطلحات الدالة على دراسة اللّغة العربية في التراث العربي:**

هناك العديد من المصطلحات الموجودة في التراث دلّت على أنّه كان هناك اهتمام بدراسة العربية ومن بين هذه المصطلحات ما يلي:

- مصطلح العربية

- مصطلح النحو: تميّز هذا المستوى بظهور المدارس النحوية المعروفة ( المدرسة البصرية والكوفية والبغدادية)

- مصطلح علم اللّغة

- مصطلح علم اللّسان.

**2- القضايا الأساسية المتناولة في علوم العربية:**

- المستوى الصوتي

- المستوى الصرفي

- المستوى النّحوي

- المستوى الدلالي

- المستوى المعجمي

- المستوى البلاغي

**خلاصة:**

إنّ الدراسات اللّسانية العربية كثيفة جدا وغزيرة المادة، لذا تميّزت بما يلي:

- الغنى والتنوّع في الصوتيات العربية، والدقة في دراسة مخارج الحروف، وكيفية حدوث الأصوات والتّفريق بينها.

- النّظرة الشمولية المتكاملة في الإحاطة بمقوّمات علم اللّسان.

- اتباع الأسلوب العلمي في استقراء المادة اللّغوية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكلام العرب.

- النظرة الموضوعية بين الدال والمدلول، على أنّه علاقة عرفية اصطلاحية، وأنّ قيمة اللّغة في عرفيتها واستعمالها.

- اهتدى اللّغويون العرب إلى أدق جزئيات البحث اللّساني.

- فضل اللّغويات العربية على اللّسانيات كبير خاصة ما تعلّق بصناعة المعاجم والتراكيب والصوتيات والدلالة والمورفولوجيا.

**د- اللّسانيات الحديثة: المفهوم والموضوع والمجال:**

**1- نشأة اللّسانيات:**

يرى المؤرّخون أنّ نشأتها كانت مع وليام جونز في القرن 18، عندما اكتشف تشابها كبيرا بين الإنجليزية واللّغات الأسيوية والأوربية بما فيها السنسكريتية، هذا ما جعله يتأكّد أنّ هناك صلة تاريخية بين هذه اللّغات[[10]](#footnote-11).

ساعدت ثلاثة أسباب في ظهور اللّسانيات هي:

- اكتشاف اللّغة السنسكريتية.

- ظهور القواعد المقارنة بين اللّغات ونظمها.

- نشأة علم اللّغة التاريخي الذي يهتمّ بالتّطوّرات التّاريخية للغة ما.

**2- مفهوم اللّسانيات:**

هي الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري، والدراسة العلمية للغة بذاتها ولذاتها، وتشمل هذه الدراسة النواحي التالية:

- الأصوات: وهذا من اختصاص علم الأصوات.

- الألفاظ: وهذا من اختصاص علم وظائف الأصوات.

- معانيها: وهذا من اختصاص علم المعاني.

- تراكيبها: وهذا من اختصاص علم التّراكيب.

**3- صفات اللّسانيات:** تتميّز بصفتين أساسيتين هما:

**1- العلمية:** نسبة إلى العلم وهو إدراك الشيء كما هو في الواقع.

**2- الموضوعية:** مشتقّة من الموضوع، وهي التجرّد من الأهواء والميولات.

**4- موضوع اللّسانيات:** موضوعها اللّغة البشرية الإنسانية وتهتم بما يلي:

- اللّغات المنطوقة والمكتوبة.

- اللّغات الحية أو الميتة التي لم يعد الاستعمال بها جاريا نحو اللّاتينية.

- اللّهجات دون تمييز بينها وبين الفصحى.

- اللّغات البدائية والمتحضّرة دون تمييز.

- دراسة اللّغة من كلّ جوانبها دراسة شاملة.

- تسعى إلى بناء نظرية لسانية شاملة تُمكّننا من دراسة جميع اللّغات الإنسانية.

**5- منهاج اللّسانيات:** تعتمد اللّسانيات على ثلاثة معايير هي:

**- الشّمولية:** دراسة كل ما يتعلّق بالظّاهرة اللّسانية.

**- الانسجام:** ومعناه عدم وجود أي تناقض بين الأجزاء في الدراسة الكلية.

**- الاقتصاد:** ومعناه أن تتمّ الدراسة بأسلوب موجز مركّز مع التّحليل الدقيق والميداني.

**6- أقسام اللّسانيات العامة:** تنقسم اللّسانيات العامة إلى ثلاثة أقسام هي:

**1- اللّسانيات التاريخية:** هي دراسة تطوّر اللّغات عبر الأزمنة.

**2- اللّسانيات المقارنة:** هي مقارنة وجهة نظر للغتين أو أكثر، ولا سيما دراسة النّظريات والتقنية المستعملة في المقارنة.

**3- اللّسانيات الوصفية:** هي أهمّ جزء وتختص بدراسة وتحليل وظيفة اللّغة، وكذا استعمالها[[11]](#footnote-12).

**ه- اللّسانيات الحديثة: ثنائيات فردينان دي سوسير:**

يعد دي سوسير أب اللّسانيات الحديثة ومؤسّس اللّسانيات البنيوية، وهو من ألهم معاصريه بأفكار جديدة في اللّسانيات.

**1- مفاهيم: اللّغة/ البنية/ النظام، عند فردينا ندي سوسير:**

**أ- اللّغة:**

**-** اللّغة نظام ويجب أن تدرس وفق هذا.

- ليست اللّغة هي اللّسان، إذ اللّسان ملكية بشرية، أمّا هي فتواضع.

- اللّغة ظاهرة اجتماعية إنسانية، تخدم غرض التّفاهم المتبادل.

**ب- البنية:** رفض دي سوسير التّصوّرات القائمة على اتخاذ معايير خارجة عن اللّسانيات ذاتها، والبنية حسبه جهاز يعمل حسب قوانين تحكمه، ولا تنمو هذه البنية إلا بهذه القوانين نفسها.

**ج- النّظام:** عنده اللّغة منظومة وفق ترتيب خاص، والنّظام هو مجموع القوانين التي تقوم عليها هذه المنظومة، ومختلف العلاقات القائمة بين المفردات والتّراكيب.

**2- ثنائيات دي سوسير:**

**1- اللّغة والكلام:** الظّاهرة اللّغوية عند سوسير مكوّنة من ثلاث مصطلحات، وهذه المصطلحات هي:

- اللّغة: ظاهرة إنسانية لها أشكال متعدّدة تنتج من الملكة اللّغوية.

- اللّسان: هو جزء معين متحقّق من اللّغة بمعناها الإنساني الواسع.

- الكلام: مفهوم فردي ينتمي إلى اللّسان ويشمل ما يعتري أداء الفرد للسان من ملامح فردية.

**3- الفرق بين اللّغة والكلام:**

|  |  |
| --- | --- |
| **اللّغة** | **الكلام** |
| اجتماعية | فردي |
| هامّة | ثانوي |
| مسجّلة سلبيا من طرف الفرد (الذاكرة) | فعل إرادي شخصي وذكي (الإبداع) |
| دراسة سيكولوجية | دراسة سيكولوجية فيزيائية |
| حصيلة ما يسجل في كلّ مخ | حصيلة ما يقوله المتكلّمون |
| نموذج اجتماعي | نموذج غير جماعي |

**2- الشكل والمادة:**

- الشكل: ما يمثّل الجوهر، وله معايير ثابتة تحكمه قواعد مثل: (اللّسان)

- المادة: هي الأداء الفعلي والشيء المتغيّر المعترض للعوارض.

**3- الدال والمدلول:** يستخدم دي سوسير مصطلح علامة للدلالة على الكلمة لفظا ومعنى والرمز اللّغوي له وجهان لا ينفصل أحدهما عن الآخر هما: الدال وهو الصورة الصوتية، والمدلول هو الصورة المفهومية التي تعبر عن التّصوّر الذّهني لذلك الدّال تتمّ الدلالة باقتران الصورتين الصوتية والذهنية وبحصولها يتمّ الفهم.

**4- الآنية والزّمانية:** وهي ثنائية تسمّى (تزامن/تعاقب)، (الوصفي/التّاريخي)، (السانكروني/ الدياكروني).

1. - ينظر: خليفة بوجادي، اللّسانيات النّظرية: دروس وتطبيقات، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط. 1، 2012، ص: 17. [↑](#footnote-ref-2)
2. - ينظر: ميلكا فيتش، اتجاهات البحث اللّساني، تر. سعد مصلوح، وفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، ط. 2، 2000، ص: 22. [↑](#footnote-ref-3)
3. - ينظر: المرجع نفسه، ص: 21. [↑](#footnote-ref-4)
4. - حسن ظاظا، اللّسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللّغة، دار العلم، دمشق، ط. 2، 1990، ص: 137. [↑](#footnote-ref-5)
5. - روبينز، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، ص: 23. [↑](#footnote-ref-6)
6. - نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي المختار، عنابة، 2006، ص: 50- 51. [↑](#footnote-ref-7)
7. - أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ص: 15. [↑](#footnote-ref-8)
8. - نعمان عبد الحميد بوقرة، اللّسانيات العامة الميسّرة، تطبيقات من اللّغة العربية، ص: 26. [↑](#footnote-ref-9)
9. - السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللّسانية، ص: 16. [↑](#footnote-ref-10)
10. - محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات، 2004، ص: 10. [↑](#footnote-ref-11)
11. - ينظر: خليفة بوجادي، اللّسانيات النّظرية، ص: 12. [↑](#footnote-ref-12)